بسم الله الرحمن الرحيم

نظرات معدودات في تحقيق رسالة ابن القارح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم. أما بعد، فقد وقفت على نظرات ثاقبة في تحقيق بنت الشاطئ رحمها الله لرسالة ابن القارح، نشرها الأستاذ الفاضل محمد بن محمدي في شهر ربيع الأول الماضي، فأحببت أن أضم إليها نظرات معدودات أخر. والطبعة التي عندي من رسالة الغفران هي السابعة، وقد اقتنيتها في المدينة المنورة في ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤. وفي خلال قراءتي للاستمتاع بالنص والاستفادة منه، كنت علَّقت في مواضع منه ما عنَّ لي من التصحيح مع الإشارة إلى ما شككت فيه ولم يتجه لي صوابه. ولم تكن عندي طبعة الأستاذ كامل الكيلاني رحمه الله لأراجعها في تلك المواضع، ولا رجعت إلى رسائل البلغاء، ولعل كلمة بنت الشاطئ عن النشرتين غرَّتني، ثم لم أكن أعلِّق حينئذ ما أعلِّقه في طرر الرسالة للنشر، فلم أُعنَ بمراجعتهما. فلما أردت أن ألحق هذه النظرات نظراتِ الأستاذ محمد بن محمدي، وقرأت تنبيهه على أهمية مراجعة النشرتين= قفوت أثره، وراجعت تعليقاتي عليهما.

ص٢١: «وعافيةٍ نظامُها بالتشرُّف بشريف عزَّته، وميمون نقيبته وطلعته». وكذا في نشرة الكيلاني (ص١٨) ورسائل البلغاء (ص٢٥٥).

لعل الصواب: «بشريف غُرَّته» بالغين والراء، يعني: غرّة الوجه. والظاهر أنه هكذا بالغين المعجمة في الأصل أيضا (انظر صورة الصفحة الأولى المنشورة بعد ص١٦).

ص٢٦: «فقلت والمجلس [يأذَن]». كذا أثبتت الكلمة بين الحاصرتين، وعلَّقت أن في الأصل والنسختين المنقولتين منه جميعا: «بأزز»، ثم شرحت معنى «يأذَن»: يسمع أو يصغي. والأستاذ كامل الكيلاني أثبت أيضا في المتن: «يأذَن»، وذكر في تعليقه من معاني «أذِن له»: «استمع معجبًا، وأجازه»، وفسرها هنا بمعنى: أجازه المجلس على كلامه. ثم نبه على أن في الأصل: «يأزز». أما الأستاذ كرد علي فأثبت في المتن: «يأزز»، وشرحها بمعنى «يمتلئ».

تبيّن مما سبق أن قراءة كرد علي وكامل الكيلاني للكلمة في النسخة التي اعتمدا عليها: «يأزز» بالياء، وعند بنت الشاطئ في النسخ الثلاث ومنها النسخة السابقة: «بأزز» بالباء. وتبين أيضا أن بنت الشاطئ ذهبت مثل كامل الكيلاني إلى أن الصواب: «يأذن» غير أنها فسرت الكلمة بمعنى الاستماع، وفسرها هو بمعنى الإجازة.

النسخ ليست بين يدي ليمكن القطع بأن الكلمة فيها «يأزز» بالياء، أو «بأزز» بالباء، ولكن الصواب هنا بالموحدة لا غير. يقال: «المجلسُ أَزَزٌ وبأَزَزٍ»، أي: ممتلئ غاصٌّ بالناس. ومنه قول سمرة بن

جندب رضي الله عنه في حديث الكسوف: «فدفعنا إلى المسجد، فإذا هو بأزز» انظر: تهذيب اللغة ٢٨١/١٣، وغريب الحديث للخطابي ١٧٢/١. وفي سنن أبي داود (١١٨٤) وغيره: «فإذا هو بارز» من البروز يعني النبي ﷺ. وزعم الخطابي في المعالم (٢٥٨/١) أنه تصحيف من الراوي، وإنما هو «بأزز». وفي العين ٣٩٧/٧: «يقال: البيت منهم أزز، إذا لم يكن فيه متسع. لا يشتق منه فعل ولا يجمع». ومنه قول الوزير أبي القاسم المغربي صاحب ابن القارح في قصة حكاها: «فصاح به رجل عباسيّ وسط الليل، والمجلسُ بأزز» (المجموع اللفيف للأفطسي: ٣٠٩)

ص٢٧: «أقيوام يدعون العلم والأدب ـ والأدب أدب النفس، لا أدب الدرس ـ وهم أصفار منها جميعا».

الصواب: «منهما»، يعني العلم والأدب. وهكذا في نشرة الكيلاني (ص٢٢) والبلغاء (ص٥٧). وقد يكون «منها» من أخطاء الطبع.

ص٢٩:

فتبًّا لـدين عبيـد النجـو م ومـن يـدّعي أنها تعقـلُ

كذا وقع بيت المتنبي، والصواب إثبات كلمة النجوم بتمامها في صدر البيت، كما في نشرة الكيلاني (ص٢٣) والبلغاء (ص٢٥٨).

ص٣٩:

ومـن يطيـق مَـردًّا عنـد صـبوته ومـن يقـوم لمسـتور إذا خلعـا

كذا أثبتت «مَردًّا»، وذكرت في الحاشية أنها كذا في النسخ الثلاث ولعلها محرفة عن «مريد» أو «مرود»، وهو المارد الذي يجيء ويذهب نشاطا. وفي رسائل البلغاء (ص٢٦٣) أيضا: «مَردًّا». أما الأستاذ الكيلاني فقد ضبطها: «مُرِدًّا» اسم الفاعل من الإرداد، وفسرها بمعنى «شديد الرغبة» وهو يقصد: الشبِق، ثم ذكر الرواية الثانية «مذكٍّ» أي مسنّ، وقال: إنها أجود وأليق، ثم خرّج البيت (ص٣٣).

وقد ذكرت بنت الشاطئ أيضا قائل البيت ونقلت روايةَ صدره من الأمالي على هذا الوجه: «وهل يطاق مذكٍّ عند صبوته»، وقالت: وانظرسمط اللآلي (١٠٥/١)، ثم فسرت الكلمة بمعنى: «الذي بلغ تمام السن». لم تذكر بنت الشاطئ رقم الصفحة من الأمالي، وليست بين يدي طبعة بولاق منه. أما طبعة دار الكتب فإن الرواية فيه (٢٢/١): «ومن يطيق مذكٍّ...»، وكذا في اللآلي. وقول البكري فيه (١٠٧/١): " وغيرُ أبي علي يرويه: وهل يطاق مذكٍّ، فيسلم من الضرورة" يدل على أن رواية الأمالي: "يطيق مذكٍّ" خلافا لما نسبته إليه بنت الشاطئ.

ولا يستبعد أن تكون كلمة "مذك" كتبها ناسخ كالعادة بإثبات الياء:"مذكي"، فقرأها بعضهم:"مذكًّى" لما رآه مفعولا به، وكتبها كعادته أيضا بالألف:"مذكا"؛ أو حرَّفها إلى:"مزكًّى" بالزاي لتوهمه أنها مناسبة للفظ "المستور" الوارد في الشطر الثاني، كما في الوافي بالوفيات (٢٣٣/٨) عن فهرست النديم، وفي معاهد التنصيص (١٥٦/١) عن الوافي، ثم كتبها "مزكا" بالألف كما وقع في الفهرست طبعة تجدد (ص٢١٦)؛ والنساخ لا يكتبون عمومًا الخط المائل للكاف في مثل هذا الموضع= فتحرفت الكاف إلى الدال، وقرئت الكلمة:"مردا".

وأثبت الأستاذ أيمن فؤاد سيد في نشرته للفهرست (٦٠١/١): «مذكًّى»، وذكر في حاشيته أن «عند ابن القارح: «مرَدًا» (أي غلام أمرد)، والمذكّى: الذي بلغ تمام السِّنّ». ولا يصح شيء مما قال! فلا عند ابن القارح «مرَدًا» بتخفيف الدال، إذ لا يستقيم عليها الوزن. والمرَد بفتح الراء مصدر، والغلام أمرد. فإن قيل إن المصدر قد يستعمل بمعنى اسم الفاعل، فوزنُ الشعر مانع منه. والمذكًّى على زنة اسم المفعول ليس بمعنى البالغ تمام السن، وإنما هو «المذكِّي» اسم الفاعل من ذكَّى. والأصل أن يكون في الشعر: "مذكّيًا" لكونه مفعولا به، ولكن الضرورة ألجأت الشاعر إلى إجرائه مجرى الرفع. انظر: اللآلي للبكري (١٠٧/١)، وضرائر الشعر لابن عصفور (ص٩٣).

ص٤٣:

ليس يشفي كلوم غيري كلومي ما به به، وما بي بي

كذا وقع عجز البيت هنا مختلَّ الوزن، والصواب:

ما به ما به، وما بيَ ما بي

كما في نشرة الكيلاني (ص٣٧) والبلغاء (ص٢٦٥). وكنت أحسبه من أخطاء الطبع، ولكن تعجبت لما رأيتها رحمها الله نقلت البيت على اختلالها هذا في كتابها «الغفران ـ دراسة نقدية» (ص١٦٠ دارالمعارف ط٤) أيضا. والبيت لابن الرومي في ديوانه (٣٣٥/١).

ص٤٤: ذكر ابن القارح أبياتا لابن الرومي، ومنها:

وهل أنت تارك شكوى الزما نِ إذا شئت تشكو إلى مستمِعْ

الصواب: إثبات كلمة «الزمان» كاملة في صدر البيت.

ص ٤٥: وذكر أبياتا للبحتري ومنها:

بلدة تنبت المعالي فما يثَّغِـ ـرُ الطفلُ فيهمُ أو يسودا

الصواب في تقطيع البيت:

بلـــدةٌ تنبـــت المعـــالي فمـــا يثْـــ ـــثَغِرُ الطفـــلُ فـــيهمُ أو يســـودا

ص ٥٠–٥١: «صفحنا عن مساوئ الدنيا إغماضًا لعاجلٍ مونقٍ التنغيص، وتومئ إليه يد الزوال، وتكمن له الآفات».

لم تنبِّه رحمها الله على أن في الكلام بعد كلمة «مونق» سقطًا، كأن يقال: «يسرع إليه التنغيص» مثلا.

ص٥١: «كم من يوم لي أغرَّ كثير الأهلة، قد صحت سماؤه وامتدَّ عليَّ ظلُّه». وكذا «كثير الأهلة» في النشرتين الأخريين، ولعل الصواب: «كثيرٍ أقلُّه».

ص٥١: ورد بيتان هكذا:

وا حســـــرتى في يـــــوم يجمـــــعُ شـــــرّتي كفـــــنٌ ولحـــــدُ
ضـــيَّعت مـــا لا بـــد منـــه بالـــــذي لي منــــه بـــــدُّ

الصواب في تقطيعهما:

وا حســـــرتى في يــــوم يجـــــ ـــمعُ شـــرَّتي كفـــنٌ ولحـــدُ
ضـــيَّعتُ مـــا لا بـــدَّ منـــ ـــه بالـــذي لي منـــه بـــدُّ

وقد ضُبط البيت الأول على الصواب في نشرة الكيلاني (ص٤٤)، ولكنه طبع في رسائل البلغاء (ص٢٧٠) كالنثر، وهو بلا شك من أخطاء الطبع. أما البيت الثاني فقد أخطأت النشرتان أيضا في تقطيعه.

ص٥٧: «وكنت منه مكان المثل في كثرة الإنصاف والحنو والتحافِّ».

علّقت المحققة على لفظ «التحافّ» بقولها: «التحافّ: التواد، وقد أتحفه الشيء وأتحفه به: أهداه إليه، والتحفة: الهدية»!

التحافُّ من مادة (حفف)، والتحفة والإتحاف من (تحف). وليس هذا المقدار من العلم بعازب عنها– رحمها الله– ولكنه وهَلٌ وذهولٌ لا يعرى منهما بشرٌ مهما بلغ من الذكاء والعلم. وقد أثبت الأستاذ محمد كرد علي: «التجاف»، كما في أصله، وقراءة الكيلاني (ص٤٩): «التصاف»، يعني: التصافي.

ص٦٣: «الأغراض البهيمية والأعراض المؤثمية».

الأقرب إلى رسم الكلمة: «المؤثِّمة»، ولكن مقتضى السجع: «المأثمية». ثم رأيتها رحمها الله قد أثبتت «المأثمية» في تعليقها على الغفران (ص٥٥٤). وهي قراءة الكيلاني أيضا وذكر أن تصويب ما في الأصل يحتاج إلى تكلف. وفي رسائل البلغاء: «المؤثمة» كما في الأصل.

ص٦٧: أنشد ابن القارح في آخر الرسالة:

يا ربِّ عفوَك عن ذي شيبةٍ وجلٍ ... كأنه من حذار النار مجنونُ
قد كان ذمَّم أعمالا مذممةً ... أيامَ ليس له عقل ولا دينُ

كذا أثبتت «ذمَّم»، وقالت في تعليقها: «كذا في النسخ الثلاث. وفي اللسان: أذمَّ الرجلُ: أتى بما يذَمّ عليه. ورجل مذمم، أي مذموم جدًّا». وكذا «ذمَّم» في البلغاء. وهو تحريف لا يستقيم به معنى البيت كما قال الكيلاني، غير أنه أثبت: «أمَّم» أي قصد، وهو تصحيح قياسي.

والظاهر أن الكلمة محرفة عن «قدَّم»، وهي الرواية الواردة في نسخة كوبريلي من البيان والتبيُّن (٦٢/٤) حسبما ذكر الأستاذ عبد السلام هارون. وفي نسخة فيض الله (ق١٩٣/أ): «قد كان سلَّف أعمالا»، وهي نسخة عالية نفيسة مقروءة على أبي ذر الخشني رحمه الله. وقول المحقق رحمه الله إن فيما عدا نسخة كوبريلي: «أيام سلَّف أعمالا» سهو منه. وفي البيان أيضا: «ذي توبة»، و«أعمالا مقاربة». ومن البيان - فيما يبدو - نُقل البيتان في بهجة المجالس (٢٧٤/١)، وفيه أيضا: «قدَّم». وذكر الجاحظ أن البيتين أنشدهما أبو عبيدة لعبيد العنبري اللص.

وهذا آخر النظرات التاليات لنظرات الأستاذ محمد بن محمدي وفقه الله وإياي لما يحبه ويرضاه، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وآله وصحبه.

محمد أجمل أيوب الإصلاحي

٥جمادى الأولى سنة ١٤٤٠